

وبينما أسفرت وفاة الرشيد عن تبعية القبائل المرينيةبني حفص، لم تلبث مدينتا سبتة وطنجة أن أعلنا تباعاً عن بيعهما للخليفة المرتضى مجرد قيامه بالأمر مع مطلع سنة ذلك أن هذه البيعة قد أعلنت يوم 27 رمضان من سنة 647/3 يناير 1250 على إثر موت أبي زكرياء الحفصي بعنابة وهو في طريقه إلى المغرب برسم غزوه علينا هو الآخر. بل إن هذه المدينة قد ذهبت إلى أبعد من هذا فقررت انتفاضتها بالتصفيه الجسدية الممثل أبي يحيى المريني قبل أن يعبث أهلها بقصر هذا الأخير. والواقع أن هذه المواقف لم تكن وليدة الصدفة وإنما جاءت منسجمة مع الوضعية الخاصة بكل طرف على حدة. أبو يحيى قد سلك مسلكاً مناسباً للتوجه المتبنى مؤخراً من قبل بنى مرین على مستوى الغزو. بمعنى أن الأمر لم يعد يقتضي مجرد القيام بعمليات فب عابرة وإنما أصبح قائماً على تدخلات تقدم على أنها مدعاة بالمشروعية الحفصية بتونس. هنالك استشعار ببعض التخوف لدى كل من مدينة سبتة ومدينة فاس على الأخص وكذا بالنسبة لسجل ماسة فيما بعد، وهو تخوف راجع للاهتمام الطارئ لدى المرينيين بمجموع المحور الطرقي الواسع بين منطقة فازاز وبالاد تادلة حسبما يتبيّن. ذلك أن هذا المحور امتداداً متصلًا بين كل من منفذ سلا ومدينة سبتة وبين عاصمة التبر المحصنة باستثناء القبائل المحاورة التي ظلت مدعومة من قبل العاصمة إلى أن أبرمت الهدنة التي عقدها المرتضى مع الخصم المريني سنة 653/1255 فكانت بداية لتنازل هذا الأخير من خلال ما ترتب عن الهدنة من استسلام المدينة ودخولها في حوزة بنى مرین لأول مرة. وهكذا يتبيّن لنا أن القبائل المرينية قد ارتأحت لتفويضها من قبل الحاكم الحفصي وحصولها على المشروعية التي أسيغها عليها فعملت على اقطاع قاعدة مجالية مكتملة الجوانب. ذلك أن القاعدة المشار إليها قد ضمت بلاد درعة ومدينة سجل ماسة كما ضمت المعبر الترابي الجامع بين بلاد تادلة ومنطقة فازاز، وهو معبر يربط بين هذه المنطقة الأخيرة ومدينة صفرو. وبذلك نرى أن عبد الحق سوف يوصف كحد أعلى لأمراء بنى مرین وكأنه ولـي صالح بينما يتم تقديم كل من ابنيه عثمان وأبي معرف على أنهما قد سلـوكاً نموذجياً منذ البداية. وبالتالي فإن نفس الإسطوغرافية قد لخصت مسار أبي يحيى فجعلـت منه قمة خالية من كل تبعية أو تأثير خارجي.